

نحوها . . . نستعرض ما كان يراه فلاسفة اليونان في هذا الوجود ، وذلك منذ أن بدأت الإنسانية تتفلسف تلك الفلسفة التي نعتقها ، وإن تكن هي التي هدتنا إلى الله خالق كل شيء . . . المحيط بكل شيء ، الهادي إلى سواء السبيل . وسنجهتد ألا نلتوى بالقراء في مهامه تلك الفلسفة اليونانية التي تصور لنا أخصب نضال فكري في التاريخ للاهتمام إلى الحق . ومع ذلك فلم يفز الحق منها بشيء ، وسنرى أن اليونان فكروا في وحدة الوجود ، وأن مشكلات هذه الوحدة كانت تتعقد في رؤوس فلاسفتهم تعقداً يقف عند أصول مضحكة ، لأنها مزيج من خيبة الرجاء ، ومن الخطب في ظلمات لم يحسن التفكير الإنسان أن يستجلي أسرارها . ومع أنه من الجراءة أن نلخص هذه الأفكار المتضاربة في عمود أو عمودين من أعمدة هذه المجلة ، إلا أننا مضطرون إلى ذلك ، لنضحك آخر الأمر على وحدة الوجود التي تملأ أدمغة متصوفينا ، كما ضحكنا أياماً ونحن نكتب على الفلاسفة اليونانية نتأملها وتدارسها عسى أن تهدينا إلى شيء نفرح به

١ - فكر طاليس في نشأة الموجودات ، حية وجامدة ، فزعم أنها نشأت من الرطوبة<sup>(١)</sup> ولكن كيف نشأت ؟ هذا ما لم يستطع طاليس أن يفسره

٢ - ثم زعم تليذه أنجزماندر أنها خلقت من مادة غير معينة ولا محدودة<sup>(٢)</sup> ، وذلك بالانفصال عنها ، ثم قضى الله عليها بالفناء في تلك المادة ثانية للأنانية التي أبدتها في أن تكون لها حياتها المستقلة !

٣ - ثم زعم أنجزر رينس أنها البخار Vapour-أنp ، وأن الأشياء قد خلقت منه ، إما بالتكاثف ( السحاب والماء والتراب ) أو بالتخلخل ( النار والشموس ) !

٤ - ثم جاء فيثاغورس وأتباعه الذين اقتدوا بأورفيوس الموسيقي في تقشفه وزهده واتخذوا البياض شعاراً لهم وسعوا إلى تطهير النفس من أدران المادة بالفكر الفلسفي فزعموا أن الأشياء قد خلقت من المَدَد ( 11 ) وملاؤوا فلسفتهم

### ٣- رسائل التعليقات للوصافي

ومرة العمود في الفلسفة اليونانية

للأستاذ دريني خشبة



ذهب الأستاذ الرصافي في تعليقاته إلى أن « وحدة الوجود » هي شيء لم تعرفه الدنيا قبل الإسلام ، وأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أول من عرفها ، وأنه لم يذكر منها شيئاً لأصحابه إلا ما لمح به منها لأبي بكر ، وإن يكن قد أشار إليها في القرآن ، ثم ظلت مجهولة حتى القرن الثاني من الهجرة حينما جهر بها المتصوفة الذين يعدم الأستاذ وخدم فلاسفة المسلمين (ص ١٣-١٤)

وقبل أن نخوض في هذا الحديث الذي لم نكن نؤثر أن نعرض له لو لم يدع الأستاذ الرصافي جميع المسلمين إلى الأخذ به ، عائباً عليهم أخذهم بظاهر ما أتاهم الرسول به ، وعدم فهم ما قال « محمد » في القرآن على أصله ، مستشهداً على غفلة المسلمين بكلام المستشرق إيطالي جاهل يقول : « إن المسلمين تمسكوا بمن الإسلام لا بروحه ، فأغمضوا عيونهم على شكل الأحكام التي أنبأها محمد ، وبقوا جامدين عليها ، فلذا بقيت على ما هي عليه من ركود وجمود ، أي بقيت ديناً ابتدائياً لا يتخشى مع كل زمان ؛ وليس ذلك من عمل محمد ، بل هو من عمل المسلمين . . . » ص ٢٠٣ ، داعياً لهذا المستشرق بالألأ يفيض الله فاه لقوله هذا الكلام . . . فض الله فاه وأفواه الزنادقة أجمعين !

لولا هذا اللغو الذي يدعونا الرصافي إليه ، ولولا أنه طبعه في كتاب وزعه وأهدى منه ، لما آثرنا أن نخوض في إهناك نهانا رسول الله عن الخوض فيه حتى لا نهلك . . . ولكن ما الحيلة ونحن نرى بالجمود والدعوة إلى الهجرة على حرية الفكر إذا دعونا إلى محاربة هذا البهتان الذي شاع في الدولة العباسية ؛ فكان في شيوخه القضاء على أجداد المسلمين الفكرية والسياسية

قبل أن نخوض في هذا الحديث إذن نحب أن نعود بالأستاذ الرصافي ، هداً الله ، إلى ما قبل الإسلام بقرون عشرة أو

بالألفاظ التي لا يفهمها من ليس لها طائفتهم

٥ - ثم كان أجزونوفانس شيد الذي تار بأساطير هومر الإلهية ودعا الناس إلى عبادة الواحد الذي ليس كمثلته شيء والذي تنزه عن الأعضاء ، فهو - مع كلة سمع ، وبصير كلة بصير وعقل كلة عقل ... موجود في كل الوجود Omnipresent إلا أنه كان يؤمن بأن الله ( ح ) في العالم ، وأنه ليس شيئاً غيره ، وهو لذلك أول قائل بوحدة الوجود

٦ - ثم جاء پارمنيدس فأبكر كل ما تدركه الحواس ولم يؤمن إلا بما يدركه العقل ، وذهب إلى أن كل شيء غير الوجود - الكينونية - خداع وهم ، لأن الحسرات كلها قانية والوجود وحده هو الأزل الخالد ، إلا أنه عاده اعترف بكرية الوجود وأنه يشغل مكاناً وفي ذلك اعتراف ضمني بمادية الوجود ...

٧ - ويؤيد الفيلسوف زينو ما ذهب إليه پارمنيدس ، وينكر الحسيات والتمدد والحركة ( وسبحان واهب العقول ) فكأنما العالم عند هؤلاء عالماز ، عالم الوجود العنوي ، وعالم الوهم ( اللاوجود ) الحسي - أما ما هي العلاقة بين العالمين فلم يحاولوا تبيانها

٨ - ويجيء هيرقليطس فينقض آراء من تقدموه ، ويعترف بالتقاء عالمي الوجود واللاوجود ، بل بالتقاء المتناقضات كلها ، محتجاً بأن التناقض هو في نظرنا لحسب ، ثم يرتأى أن العالم كله مخلوق من النار ، وأنه دائم التحول لا يثبت على حال واحدة لحظة واحدة ، وأن العقل الإنساني والحياة الإنسانية هما قبضة من تلك النار تشتمل بالحواس والتنفس - ودوام التحول هو دوام الاشتعال nûp ، إلى أعلى way up وإلى أسفل way down الخ

٩ - ثم يأتي إيميدوكلس فيرد المخلوقات إلى أربعة جذور ( عناصر ) : التراب والماء والهواء والنار ، ويزعم أنها لا تتغير في طبيعتها وأن الذي يتوهم بالاتصال بينها هو الحب ( الجاذبية ) وأن الذي يقوم بالانفصال بينها هو البغض ( التنافر ) . ويتناوب الحب والبغض بجميع العناصر وتفريقها إلى الأبد ، فرة ينتصر الحب فيصير الكون كله مزيجاً « وحدة » وأخرى ينتصر البغض فتتفرق العناصر

١٠ - وتأتي نوبة الذريين ، فيقول ديمقريطس<sup>(١)</sup> إن العالم يتركب من ذرات seeds يدفع بعضها بعضاً ، خبط عشواء (!!) فيناقضه أناجزا جوراس الذي يقول بتعدد العناصر ووجود قوة عاقلة مدرة حكيمة هي « العقل » أو ما يسميه هو Noös تتولى تحريك تلك العناصر وتوجيهها وجهة غائية سالحة تضمن جمال الكون ونظامه ، إلا أنه يمتد قدم العقل والعناصر على السواء وأن أحدهما لم يخلق الآخر ، وإن حرك العقل العناصر وألف معها « وحدة الوجود » - ومع ذلك فقد ظل اثنيافاً آخر الأمر

١١ - ويأتي « دور » السوفسطائيين الذين يمنون بالحياة العملية ، ويهملون الفلسفة النظرية ، وزهدوا في المناقشة حول الآلهة ... ويقول أحدهم « پروتا جوراس » : « إنني لا أستطيع أن أقرر إن كانوا موجودين أو غير موجودين ، كما لا أستطيع أن أستبين صورهم ، وإن حياتنا القصيرة لا تساعدنا على معرفتهم معرفة صحيحة لشدة الفموض الذي يكتنفهم » وبهذا أثاروا الشكوك وزعزعوا العقائد ، وإن خدموا الثقافة خدمة جليلة .

١٢ - ويصلح سقراط ما أفسده السفسطائيون ، وينشئ نظرية المعرفة القائمة على الإدراكات العقلية والمعاني الكلية ، والتي جعلها أساساً للفضيلة كما جعل الجهل أساساً لكل الشرور ، وتجاهل عواطف الرء وشهواته ؛ فكانت نقطة الضعف في فلسفته التي ردت إلى الناس إيمانهم بالحقائق الخارجية على أساس ثابت غير الأساس القديم الساذج الذي هدمه السوفسطائيون . وقد انقسم أتباع سقراط بعد موته إلى طوائف ثلاث ، فانصرف السكيبون عن زخرفة الحياة وآثروا التقشف ، وزهدوا في العلوم والفنون . بل دعوا إلى الجهل مكتفين بالفضيلة التي تكفل لهم السعادة ! أما القورينيون فقد خالفوا السكيبين في طريق الوصول إلى الفضيلة ولم يروا السعادة في الزهد والتقشف ، بل رأوها في اللذة والاستمتاع بكل ما تصبو إليه النفس في حدود الاعتدال حتى لا تكون النتيجة شراً ، وكلما كانت اللذة حسية كانت في نظرهم أضمن جلباً للسعادة من اللذة الذهنية ، ولهم في شرح المذات كلام طويل عجيب - أما الميجاريون فقد

(١) أستطنا من السلة أسناده الفيلسوف ليكيوس وإن يكن هو صاحب النظرية

بمعنى أنه من مادة لا وجود لها ... وعلى هذا فلا وجود له إلا هذا الوجود المعنوي . وليس بمد هذا اضطراب في فلسفة المعلم الأول الإلهية . أما فلسفته الطبيعية فسلمة لا غبار عليها ، إذ تتبع هذه الفلسفة نشوء العالم من الهيولى إلى الصورة ، وإن فضله دروين في هذا الباب

\*\*\*

وبعد ، فكيف بعد هذا العرض السريع لهذه الناحية من نواحي الفلسفة اليونانية يزعم الأستاذ الرصافي أن وحدة الوجود هي شيء إسلامي بحيث لم يعرفه إلا محمد ، ثم فلاسفة المتصوفة المسلمين بعد محمد بقرن أو قرنين من الزمان ؟ ثم ماذا أصاب الفلاسفة اليونانيين من الهلكة والتخبط ، من لدن طائيس أول فلاسفتهم إلى أرسطو أعظم مفكرهم ، بسبب القول باندماج الله في العالم أو العالم في الله ... إلا من هدى الله ! أما الرد على الأراجيف التي تنشأ عن هذا الإنفك ، فليس هذا أوانه  
درينى هسبنة

نشدوا السعادة — أعني لفضيلة — في حياة التأمل والمعرفة — في التعمق الفلسفي ، واستكناه حقيقة هذا الوجود ١٣ — ثم كانت نظرية المثل التي قال بها أفلاطون ، وأن لكل شيء مثلاً من الكيان مجرداً من الحس يسمى إليه ، فهو يجعل المثل ذوات مستقلة عن الأشياء لها وجود قائم بنفسه ، وجعل مثال الخير أساس جميع نائل : ومع أن أفلاطون يعترف بوجود إله خلق العالم وعسكه ويدبر أموره فهو يتردد بين الرحدانية والتعدد ، ولا يحدد العلاقة بين الله ومثال الخير ؛ والعالم عند أفلاطون عالمان . عالم الحقيقة وهو عالم المثل ، وعالم الظواهر وهو هذا العالم المحتس ، وهو صورة لعالم المثل . ثم هو يؤمن بالتناسخ ، فتعود النفس السعيدة إلى عالم المثل وتبقى فيه حقبة ثم تعود فتحل في إنسان آخر ؛ فإن كانت شقية عذبت قليلاً ثم حلت في جسم مخلوق وضعيع ، والسعادة عند أفلاطون هي الإحاطة بعالم المثل ، وفهم العلاقة بين المثل والحسوسات والتمتع بالمتع البريئة ، ثم تحصيل أكبر قدر من الثمقات ، وترانا من أفلاطون أمام ثلوث عجيب : المادة ، والمثل ، والله ، وكأها قديم . وهذا هو الضلال

١٤ — وقد نقد أرسطو نظرية المثل وهدمها من أساسها لما خلق أفلاطون من هذا العالم الخيالي الذي يوازي هذا العالم المدرك ، ولأنه لم يستطع تمثيل كليهما ولا تمثيل الحركة في العالم الثاني . وقد رأى أرسطو أن سبب هذه البلبلة في أفكار الفلاسفة هو عدم وجود قواعد ثابتة تضبط أفكارهم وكلامهم فاخترع المنطق لهذا الغرض . وقد عرض لمسألة الله وخلق العالم فنفى الزمنية بينهما ، بل جعلهما مقترنين ، اقتران المقدمة بالنتيجة ، فلم يكن الله أولاً ثم كان العالم . وبهذا كان العالم قديماً عند أرسطو ... والله عنده هو الكمال المطلق والدلة الصورية الفائية التي تحرك هذا العالم يجذبه إليه . وهذا هو الترق ، اقتراب العالم من الكمال المطلق ... وما دام العالم قديماً فهو لا أول له ... وكذلك لا نهاية له ... واضطرب أرسطو في تصور ذات الله ، هل له وجود مستقل مشخص ، أم ليس له هذا الوجود الشخص للاستقل ؟ تقول أرسطو مرة إن الله يجيب في سعادة أبدية ، وأنه هو الوجود المطلق يدل على التشخيص والوجود المستقل ؛ ولكن تمييزه عنه مرة أخرى بأنه هو الصورة المجردة

## القاهرة

من المعز إلى الفاروق

## الجيش المصري

في عهد محمد علي الكبير

مؤلفان للبكياشي

عبد الرحمن زكي

بدير التحف الحسري

يطلب من مكاتب القاهرة وثمان الأول ٣٥ قرشاً

والثاني ٢٠ قرشاً عدا البريد

وفي السودان من مكتبة كردفان بالأبيض